" أهمية دراسة الفقه الإسلامي وخصائصه "

*** الشريعة الإسلامية :**

– تعريفها : لغةً : هي الطريقة لقوله تعالى " ولكل منكم جعلنا شرعة ومنهاجاً " .

اصطلاحاً : هي الإحكام التي شرعها الله لعباده على لسان رسول من الرسل، والشريعة الإسلامية هي الأحكام التي وردت في القرآن والسنة .

سؤال : عرف الفقه لغة واصطلاحاً ؟

لغةً : عبارة عن الفهم والفطنة والعلم .

اصطلاحاً : هو العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية، وهو علم مستنبط من القرآن والسنة والإجماع والاجتهاد .

والجدير بالإشارة أن لفظ الشريعة أعم من لفظ الفقه، علل؟

لأن الفقه هو جزء من الشريعة .

– والأدلة نوعان:

أولاً– ثابتة :

1–القرآن الكريم **0**

2–السنة.

3–الإجماع

4–القياس.

ثانياً– تفصيلية:

1–الاستحسان0 **2**–العرف . **3**–سد الذرائع. **4**–المصالح المرسلة. **5**–مذهب الصحابي.

* **خصائص الفقه الإسلامي** : هناك عدة خصائص **وهي** :

1– الصفة الدينية :

أي أنه من الله سبحانه وتعالى وليس من عند البشر ،ولذلك نجد أن هذه الصفة الدينية تكسب الفقه الإسلامي قدسية تكسبه احتراماً لدى المؤمنين به من أفراد الشعب فالوازع الديني يضمن للقوانين حسن تطبيقها وسرعة تنفيذها على الوجه الأكمل دون نقص أو تهرب أو احتيال .

– فإذا استطاع شخص الهرب من القانون لن يستطيع الهرب من ضميره الذي سيحاسبه بأن الله سيعاقبه أجلاً أو عاجلاً، وأنه إن هرب من عقاب الدنيا فعقاب الآخرة آت لا محالة، ودليل ذلك قوله تعالى {اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً } .

2– تلبّية التشريع الإسلامي لحاجات كل عصر :

– تتضح لنا هذه الفكرة من خلال الخصائص **التالية:**

أ– أن المبادئ التي جاءت في القرآن الكريم تتيح لنا إيجاد تشريع متطور يستمد من هذه المبادئ أصوله .

ب – تمتاز المصادر الفقهية بأنها جمعت بين مصادر ثابتة كالقرآن و السنة ومصادر متطورة كالمصالح المرسلة والقياس والاستحسان وكل ما يعتمد على الرأي والاجتهاد .

ج – مراعاة التشريع الإسلامي مصلحة الجماعة ومصلحة الفرد دون طغيان احدهما على الأخرى .

د – مراعاة التقاليد والأعراف التي تعبر عن تطوير المجتمعات وذلك في حدود التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه0

3– العدالة والمساواة في التشريع :

تتجلى العدالة والمساواة في الشريعة الإسلامية بأن الجميع سواسية، سواءً بالنسبة للحاكم أو المحكوم، وسواء بالنسبة لجميع أفراد الشعب بعضهم ببعض .

فالرسول ﷺ يقول : يا معشر قريش لا يأتني الناس بالأعمال وتأتوني بالأنساب .

-كذلك **قوله تعالى**:((إنّ أكرمكم عند الله اتقاكم))

4– عدم تأثر الفقه الإسلامي بغيره من النظم :

فالفقه الإسلامي فقه مستقل بمصادره ومناهجه وفروعه وأحكامه فلم يتأثر بالتشريعات الأجنبية فلم يقتبس الفقه الإسلامي أحكامه من التشريع الروماني ولا من الدول المجاورة كما يدعي بعض المستشرقين كالتمييز بين عقوبة العبد والحر وكذلك إذا ارتكب شخص من العائلة الحاكمة لا يعاقب .

– **فالفقه الإسلامي** من خلال دراسته الروح الإسلامية الحية التي لم تتأثر بالمؤثرات الأجنبية، فهو فقه مستقل بمصادره ومنهاجه وفروعه وأحكامه، فالقانون الروماني قام على أساس التفرقة بين الطبقات والأجناس، فليست العقوبات القانونية واحدة تطبق على الجميع وإن أتحدت الجرائم، بل أن عقوبة السيد أخف من عقوبة غيره، فمن ذلك ما جاء في مدونة جوستنيان " من يستهوي أرملة مستقيمة أو عذراء فعقوبته إن كان من بيئة كريمة نصف ماله، وإن كان من بيئة ذميمة فعقوبته الجلد والنفي من الأرض " .

بينما نجد القرآن الكريم يصرح قائلاً " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** " 0

– وفي حقوق المرأة نجد الإسلام يقرر الحرية الشخصية الكاملة للمرأة الراشدة، وكذلك بالنسبة للشاب العاقل البالغ، فليس للأولياء سلطة على أموال أولادهم البالغين لقوله تعالى " **فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ** ."، بينما نجد سلطة الأب في الحقوق الرومانية سلطة مطلقة على أولاده ما دام على قيد الحياة .

*** ترتيب نزول الكتب السماوية :**

1– **التوراة:** نزل على سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ونزل باللغة العبرية ومعناه باللغة العربية الشريعة.

2– **الزبور:**

نزل على سيدنا داوود عليه الصلاة والسلام ونزل باللغة العبرية ومعناه باللغة العربية الكتاب

3– **الإنجيل:** نزل على سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ونزل باللغة الآرامية ومعناه باللغة العربية البشرى.

4– **القرآن الكريم:**

نزل على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ونزل باللغة العربية وقد اختلف البعض على معنى القران في اللغة العربية البعض قال اسم علم على الكتاب الذي أوحى به الله على النبي صلى الله عليه وسلم أما القسم الآخر قال انه لفظ مشتق من قرأ– يقرأ – قراءةً– قرآن ومعناها انه كثير القراءة

*** مصادر التشريع الإسلامي :**

تقسم مصادر التشريع الإسلامي إلى :

1- **مصادر تعتمد على النقل** : وهي القرآن الكريم والسنة النبوية .

2- **مصادر تعتمد على العقل** :

وهي الإجماع – القياس – المصالح المرسلة – العرف – الاستحسان – سد الذرائع – قول الصحابي .

* **مصادر التشريع النقلية** :

أولاً : القرآن الكريم :

* **تعريف القرآن الكريم لغةً واصطلاحاً** :

1- لغةً : من فعل قرأ – يقرأ – قراءةً : فقد سمي قرآن لأنه كثير القراءة .

2- اصطلاحاً : هو كلام الله تعالى الذي نزل به جبريل عليه السلام على قلب الرسول محمد ﷺ بألفاظه العربية، ليكون حجة للرسول، ودستور للناس يهتدون بهداه، ويتعبدون بتلاوته، واستغرق نزوله (23سنة) حسب الأحداث والنوازل، والمنقول إلينا بالتواتر والمعجز بألفاظه ومعانيه، والمحفوظ من أي تبديل أو تغير وهو مابين سورتي الفاتحة والناس **لقوله تعالى (إنّا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون)** .

– وأتفق العلماء على أن القرآن هو الدليل الأول على سائر الأحكام .

سؤال : ما هي أول آية نزلت على النبي محمد ﷺ ؟ لقد نزلت أول آية في غار حراء وهي قوله تعالى (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) ، وذلك في اليوم السابع عشر من رمضان للسنة الحادية والأربعين من عمره عليه الصلاة والسلام

سؤال :ما هي آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ؟ هي قوله تعالى {وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ }وقد عاش النبي ﷺ بعد نزولها تسع ليال فقط .

سؤال :كيف نزل القرآن أو بمعنى آخر كيف تم نزول القرآن؟

إن القرآن الكريم لم ينزل دفعة واحدة ولكنه نزل منجماً أي مفرقاً حسب الحوادث والظروف وفي مكة والمدينة .

وقد ثار سؤال من بعض المعاصرين وهو ما سبب عدم نزول القرآن دفعة واحدة ؟ وقد رد على ذلك بقوله تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً }

.

سؤال: ولكن السؤال لماذا نزل القرآن منجماً ؟

1- تثبيت قلب النبي ﷺ بالقرآن : وذلك لتبقى صلة هذا القلب العظيم مستمرة بالسماء مما يقوي عزيمة الرسول أمام اضطهاد الكفار وإيذائهم له ولأصحابه وبهذه الطريقة تقوى قلوب الصحابة أيضاً حين يسمعون كلام الله، كقوله تعالى {وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً }

2 – ترتيل القرآن ترتيلاً ليسهل حفظه لدى الصحابة : أما فيما يتعلق بترتيل القرآن في قوم أُميين لا يقرؤون ولا يكتبون مما يسهّل الحفظ عليهم إذ لو نزل دفعة واحدة لصعب حفظه ولضاع الكثير منه .

3 – مراعاة التدرج في أحكام القرآن وهو من ميزات التشريع الإسلامي أنه لم ينزل الحلال و الحرام دفعة واحده ليسهل تقبل الدين الجديد على المؤمنين .

4 – الانتقال من آيات العقيدة التي تدعو الناس إلى الأيمان بالله إلى آيات الأحكام التي تُفصّل أحكام الإسلام في المعاملات وبقية شؤون الحياة .

5- وكذلك فإن نزول الآية أو السورة أو الحكم القرآني إثر حادثة معينة يسهّل على الصحابة حفظ هذه

الأحكام.

* **المكي والمدني من القرآن** : إن القرآن الكريم نزل متفرقاً حسب الحوادث وبما أن عصر الرسالة النبوية نشأ في مكة ثم أنتقل إلى المدينة بهجرة الرسول إليها فالقرآن الذي نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة سُميّ مكياً والذي نزل في المدينة سُمي مدنياً .

سؤال: ما هي الفائدة من معرفة الآيات المكيّة والمدنية ؟إن لهذا الأمر **فوائد كثيرة** يعرفها علماء أصول الفقه **خاصةً** لمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص ولمعرفة تاريخ التشريع الإسلامي وسياسته بأخذ الناس ودعوتهم بالرفق واللين والموعظة الحسنة .

– وقد تم نزول القرآن الكريم خلال ثلاثة وعشرون عاماً وقد توزعت بين مكة والمدينة .

سؤال : ما هي مدة مكوث النبي " صلى الله عليه وسلم " في مكة أو ما هي المدة التي نزل بها القرآن في مكة؟ إن المدة التي نزل بها القرآن في مكة هي مدة بقاءه صلى الله عليه وسلم بعد الرسالة إلى وقت الهجرة وهي أثنتا عشر سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوماً .

سؤال: ما هي المدة التي نزل بها القرآن في المدينة ؟

هي تسع سنوات وتسعة أشهر وتسعة أيام .

– **إذاً** القران الذي نزل في مكة يُسمى مكيّاً والذي نزل في المدينة المنورة يُسمى مدنيّاً طبعاً القسم المكي أكثر من المدني ومجموع سور القرآن هي (ربيعثانيمحرممحرم) سورة .

* **إعجاز القرآن** : طبعاً للقرآن الكريم إعجاز من عدة نواحٍ لفظية ومعنوية وروحية وتشريعية وعلمية.

– وحسب القرآن فضلاً إنه حفظ اللغة العربية من الضياع عبر القرون، كما تكلم عن أخبار الأمم السابقة، فلقد تحدى القرآن العرب بأقوى ما يملكون من سلاح وهو سحر البلاغة **والبيان فقال الله تعالى لهم:**

"**فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ** " .

– وأيضاً تكلم عن أمور مستقبلية وحقائق علمية أثبتتها أحدث النظريات العلمية اليوم، كإخباره بأحوال الأمم السالفة كقوم نوح وقوم عاد وثمود ...الخ، وهذا الإخبار تحققت في عدة أمور كما جاء بقوله تعالى عندما وعد المسلمين بالنصر قبل غزوة بدر "**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ** " ، وقد تحقق وعد الله بذلك .

– **أما من الناحية التشريعية** فإعجاز القرآن التشريعي يعتبر قفزة في عالم التشريع فمثلاً في نظام الحكم جعل الحاكم والمحكوم أمام العدالة، وفي المجال الدولي أوجد نظاماً للمعاهدات والأسرى والحروب بينما كانت تقوم في السابق على السلب والنهب، وفي المعاملات التجارية جعل الأصل في العقود التراضي بعد أن كانت العقود ترضخ تحت تأثير الشكليات، وفي عالم الاقتصاد جعل المال كله لله والناس مستخلفين فيه ..... الخ .

* **وجوه إعجاز القرآن دليل على أنه من عند الله : إن وجوه إعجاز القرآن الكريم المختلفة دليل** على أنه ليس من صنع البشر بل هو كتاب الله المنزل بواسطة جبريل على الرسول محمد " صلى الله عليه وسلم "، حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم أُميّاً لا يقرأ ولا يكتب بإجماع المؤرخين و العلماء وبني قومه، أليس من العجيب أو بالأحرى من المستحيل أن يُنسب لشخصٍ أُميّ لم يُعرف عنه العلم طيلة حياته أربعين عاماً قبل

الوحي مثل هذا القرآن الجامع والمعجِز .

– حيث أثبت هذا التاريخ أميّة هذا النبي العظيم كما أثبت أنه لم يتلق العلم عن أحد وكل ما سوى ذلك فهو غير صحيح .

– كما انه لم يتلق العلم من احد فقد ذكر بعض الملحدين بأن محمد (ص) قد أخذ العلم من الراهب بحيرا في بصرا الشام عندما كان مع عمه أبي طالب ولكن لقاء الرسول بهذا الراهب غير كافي لنقل هذا القرآن العظيم لأن الراهب لم يتكلم لأبي طالب عم الرسول أكثر من قوله سيكون لابن أخيك هذا شأن عظيم.

– كما اجتمع الرسول " صلى الله عليه وسلم " أثر نزول الوحي مع ورقه وكان بصحبة زوجته خديجة، فقال: ورقة وكان شيخاً كبيراً : هذا هو الوحي الذي نزل على موسى، واعترف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتمنى لو عاش حتى يكون من أنصاره .

– فسكوت التاريخ عن هذا كله يعتبر حجة دامغة على أن رسول الله عليه الصلاة والسلام لم يتلق علومه من أحد إلا من الله سبحانه وتعالى خالق السموات والأرض وأن القرآن منزل من الله .

– **ومن الجانب الخلقي** : الذي كان يعيشه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الوحي وبعده مع قومه وإخوانه وعشيرته ... الخ .

ومثالها حادثة الإفك عندما أراد قوماً من المنافقين إذاء المسلمين بأخلاقهم فنسبوا إلى السيدة عائشة زوج الرسول عليه الصلاة والسلام تهمة في إحدى الغزوات .

– ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يفعل شيء وغاب الوحي شهراً كاملاً حتى نزل بعد ذلك بعد أن أختبر قلوب المؤمنين الصادقين، وجاء قوله تعالى ببراءة السيدة عائشة " **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ**

مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ " .

– فهذا دليل على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عن ربه سبحانه وتعالى .

– **ومن حيث الواقع العرفي** أي ما تعارف عليه الناس أنهم اعتادوا أن ينسبوا كلام الغير لهم لا أن ينسبوا كلامهم لغيرهم، والسنة الكريمة هي بمرتبة القرآن فهي شارحة ومفسرة ومبينة، فأي داع يدعو الرسول " عليه الصلاة والسلام " إلى أن ينسب عمل نفسه لغيره وكل من القرآن والسنة واجبة الإتباع .

–والأدلة على إعجاز القرآن الكريم **قوله تعالى**:

1–((قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)).

2–((فأتوا بعشر سور مثله مفتريات)).

3–((إن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله)).